البنية التركيبية في سورة الحجرات
دراسة أسلوبية

د. غازي عوض العتيبي (*)

المقدمة :

تنطلق هذه الدراسة من المستوى التركيبي، أو تركيب الجملة، أو المستوى النحوي للنص، وهذه المصطلحات تدلّ على مفهوم واحد، هو ما يتعلق بالقواعد التي تضبط نظام الجملة في اللغة، وتجعلها قادرة على تأدية المعنى الذي يريده مستعمل اللغة(١).

ودراستنا هذه لا تتعامل مع النحو بوصفه معياراً للصواب والخطأ، بل إنها تنظر إلى النحو بمعناه الأرحب، ومفهومه الأوسع، الذي يُعبِّر عنه أبو يعقوب السكاكي بقوله: "اعلم أن علم النحو هو أن تنحو معرفة كيفية التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى مطلقاً بمقاييس مستنبَطة من استقراء كلام العرب، وقوانين مبنية عليها، ليحترز بها عن الخطأ في التركيب من حيث تلك الكيفية. وأعني بـ (كيفية التركيب) تقديم بعض الكلم على بعض ورعاية ما يكون من الهيئات إذ ذاك، وبـ (الكلم) نوعيها المفردة وما هي في حكمها"(٢).

(*) قسم أستاذ مساعد- كلية التربية الأساسية- الهيئة العامة للتعليم التطبيقي- الكويت

(١) انظر، محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء، القاهرة، دون طبعة، ١٩٩٧، ص ١٠٧.

(٢) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، دون طبعة ، دون تاريخ، ص ٤.

وهذه فكرةٌ عبّر عنها عبد القاهر الجرجاني قديماً بقوله: "والألفاظ لا تُفيد حتى تُؤلَّف ضرباً خاصًّا من التأليف، ويُعْمَد بها إلى وجهٍ دون وجهٍ من التركيب والترتيب"(١).

إن دراستنا هذه على الرغم من اقترابها من دائرة تناول البلاغيين العرب للتراكيب "على طريقة النظر في التركيب نفسه من جهة أسلوب وصفه، وطرق التعبير به، وما فيه من إيجاز وإطناب ومساواة، وما فيه من فصل ووصل، وقصر، وتقديم وتأخير"(٢)، فإنها تنشط إلى مهمة أخرى تتمثل في محاولة الإجابة عن السؤال الآتي:

كيف أسهمت البنية التركيبية لسورة الحجرات في تشكيل البنية الدلالية، تلك البنية المكونة من (وحدة دلالية كبرى) واحدة؟

وتتخذ الدراسة من النص القرآني ميداناً للتطبيق؛ إذ اختيرت سورة الحجرات لتكون النص الذي تسعى الدراسة للتعرف على كيفية اشتراك البنية التركيبية في تشكيل المعنى الكلي للسورة. وسورة الحجرات مبنية على (وحدة دلالية كبرى) واحدة، هي إرشاد المؤمنين إلى الأخلاق الحميدة مع الله ورسوله، أو مع الناس(٣). ويدل على ذلك تكرار النداء بصيغة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ خمس مرات في الآية(٤)، وهي سورة مكونة من ثماني عشرة آية.

---

(١) السكاكي، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٧، ص ٧٥.

(٢) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، دون طبعة، ١٩٩٤، ص ١٨.

(٣) انظر، فخر الدين الرازي، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، نسخة مصورة دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨١، الجزء ٢٨، ص ١١٨.

(٤) الآيات / ١ ، ٢ ، ٦ ، ١١، ١٢ من سورة الحجرات.

وفي سبيل البحث عن دور البنية التركيبية في تشكيل دلالة السورة سعت الدراسة إلى سبر أغوار الظواهر التركيبية الآتية:

١- الحذف.

٢- التعريف والتنكير.

٣- التقديم والتأخير.

٤- القصر.

٥- الالتفات.

أولاً: الحذف:

تُعدّ ظاهرة الحذف من أكثر الظواهر التي تعتني بها الدراسة الأسلوبية عند تناولها للبنية التركيبية، أو المستوى التركيبي، أو لنص ما. والحذف معروف في لغة العرب، يقول ابن جني: "وقد حذفت العرب الجملة، والمفرد، والحرف، والحركة. وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته"(١).

وقد عبّر عبد القاهر الجرجاني عن الحذف بعبارة ذائعة الصيت، سارت مسير الأمثال، إذ يقول عبد القاهر: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن"(٢).

---

(١) ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٩٩، الجزء ٢، ص ٣٦٢.

ويُسمِّي السكاكي هذه الظاهرة بـ (طَيّ الذِّكْر). انظر، مفتاح العلوم، مرجع سابق، ص ١٧٦.

(٢) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٤، ص ١٤٦.

وتأتي أهمية الحذف من كونه لا يأتي باللفظة التي ينتظرها المتلقي، ومن هنا يثير في ذهن المتلقي شحنة فكرية تنبِّه ذهنه، وتجعله يتخيل ما هو مقصود. هذه العملية– التي يقوم بها المتلقي من تخيُّل المقصود من وراء الحذف– تُحْدِث نوعاً من التفاعل بين منشئ النص ومتلقيه، قائم على إكمال المتلقي مكان الحذف(١).

وقد ورد في سورة الحجرات آياتٌ ذكر بعض المفسرين أن فيها حذفاً، وقفتُ منها على ما يأتي:

١- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾ **(الحجرات ١)**

الفعل (تُقَدِّمُواْ)– في هذه الآية– فعل متعدٍّ، ومفعوله محذوف. وذهب بعض المفسرين إلى أن الفعل لازم، ولا حذف فيه.

ويذكر الزمخشري القولين: "وفي قوله تعالى: (لَا تُقَدِّمُواْ) من غير ذكر مفعول: وجهان، أحدهما: أن يحذف ليتناول كل ما يقع في النفس مما يقدّم. والثاني: أن لا يقصد قصد مفعول ولا حذفه، ويتوجه بالنهي إلى نفس التقدمة، كأنه قيل: لا تقدموا على التلبس بهذا الفعل، ولا تجعلوه منكم بسبيل"(٢).

ويستفيض السمين الحلبي في تقدير المحذوف حين يقول: "وفيها وجهان: أحدهما: أنه متعدٍّ، وحُذف مفعولُه: إما اقتصاراً كقولهم: هو يعطي ويمنع،

---

(١) فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، الدار الفنية، دون مكان نشر، دون طبعة، ١٩٩٠، ص ١٣٩.

(٢) جار الله الزمخشري، تفسير الكشاف، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٨، الجزء٥، ص ٥٥٤.

وانظر، أبو السعود محمد بن محمد العمادي، تفسير أبي السعود، نسخة مصورة دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون طبعة، دون تاريخ، الجزء ٨، ص ١١٥ – ١١٦.

و﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ﴾ [البقرة ١٨٧]، وإما اختصاراً للدلالة عليه، أي: لا تُقدِّموا ما لا يَصْلُح. والثاني: أنه لازم، نحو: وَجَّه وتَوَجَّه"(١).

٢- ﴿وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ٢﴾ **(الحجرات ٢)**

تتضمن الآية موضعين من مواضع الحذف:

الأول: في قوله تعالى: (أَن تَحۡبَطَ):

قال العكبري: "قوله تعالى (أَن تَحۡبَطَ): أي: مخافة أن تحبط، أو: لأن تحبط، على أن تكون اللام للعاقبة، وقيل: لئلا تحبط"(٢).

وقد فصّل الزمخشري القول في موضع الحذف فقال: "(أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ) منصوب الموضع، على أنه مفعول له، وفي متعلقه وجهان، أحدهما: أن يتعلق بمعنى النهي، فيكون المعنى: انتهوا عما نهيتهم عنه لحبوط أعمالكم، أي: لخشية حبوطها على تقدير حذف المضاف . . ."(٣).

وقال أبو حيان: "كأنه قال: مخافة أن تحبط الأعمال التي هي معدَّة أن تعملوها فتؤجروا عليها"(٤).

---

(١) السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٤، الجزء ١٠، ص ٥.

وانظر، أبو البقاء العكبري، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، دون طبعة، ١٩٧٦، ص ١١٧٠.

(٢) العكبري، التبيان، مرجع سابق، ص ١١٧٠

(٣) الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، الجزء ٥، ص ٥٥٩.

وانظر، محمود الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المطبعة المنيرية، القاهرة، دون طبعة، دون تاريخ، الجزء ٢٦، ص ١٣٥.

(٤) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق جماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣، الجزء ٨، ص ١٠٦.

الثاني: في قوله تعالى: ﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾:

قال الزمخشري: "وكان التشبيه في محل النصب، أي : لا تجهروا له جهراً مثل جهر بعضكم لبعض"(١). ويوضح أبو السعود موضع الحذف في الآية بقوله: "(كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ) أي: جهراً كائناً كالجهرِ الجاري فيما بينكم بل اجعلُوا صوتَكُم أخفضَ من صوتِه عليه الصلاة والسلام"(٢).

٣- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰٓ﴾ (الحجرات ٣)

المحذوف في الآية الكريمة هو الحال الذي دلّت عليه صلتُه الجار والمجرور (للتقوى). قال الزمخشري: "(ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰٓ) من قولك: امتحن فلان لأمر كذا وجرب له، ودرب للنهوض به. فهو مضطلع به غير وانٍ عنه. والمعنى أنهم صُبَّر على التقوى، أقوياء على احتمال مشاقها. أو وضع الامتحان موضع المعرفة؛ لأنّ تحقق الشيء باختباره، كما يوضع الخبر موضعها، فكأنه قيل: عرّف الله قلوبهم للتقوى، وتكون اللام متعلقة بمحذوف، واللام هي التي في قولك: أنت لهذا الأمر، أي كائن له ومختص به"(٣).

ويورد الألوسي موضع الحذف مختصراً بقوله: "واللام صلة لمحذوف وقع حالاً من (قُلُوبَهُمْ)، أي: كائنةً للتقوى مختصةً بها"(٤).

٤- ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾ (الحجرات ٦)

والمحذوف في الآية المفعول له، وهي تشبه ما مرّ بنا في قوله تعالى: ﴿ أَن تَحْبَطَ﴾. قال الزمخشري:" (أَن تُصِيبُواْ) مفعول له، أي: كراهة إصابتكم"(٥).

---

(١) الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، الجزء ٥، ص ٥٥٩.
(٢) أبو السعود، تفسير أبي السعود، مرجع سابق، الجزء ٨، ص ١١٦.
(٣) الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، الجزء ٥، ص ٥٦١.
(٤) الألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، الجزء ٢٦، ص ١٣٨.
(٥) الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، الجزء ٥، ص ٥٦٧.
وانظر، أبو حيان، البحر المحيط، مرجع سابق، الجزء ٨، ص ١٠٩. والألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، الجزء ٢٦، ص ١٤٧

٥- ﴿فَضۡلا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ (**الحجرات ٨**)

يُلخِّص العكبري الأقوال في هذه الآية بقوله: "قوله تعالى (فضل): هو مفعول له، أو مصدر من معنى ما تقدم؛ لأن تزيينه الإيمانَ تفضُّل، أو هو مفعول"(١). وكذلك فَعَل الزمخشري- بعد ذكر وجه نصب (فضل) مفعولاً له، أو مصدر (مفعول مطلق) من غير فعله-: "أو عن فعل مقدر، كأنه قيل: جرى ذلك، أو كان ذلك فضلاً من الله"(٢).

فالآية تتضمن حذفاً إن أعربنا قوله تعالى (فضل) مفعولاً به، على تقدير حذف فعل مضارع، يوضحه أبو السعود بقوله: "وقيل: نصبهما بفعل مضمر، أي: جرى ذلك فضلاً، وقيل: يبتغون فضلاً"(٣).

٦- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡم مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآء مِّن نِّسَآءٍ﴾ (**الحجرات ١١**)

قوله تعالى: ﴿وَلَا نِسَاء﴾ الواو: حرف عطف، و(لا): ناهية، و(نساء): فاعل لفعل مقدَّر، أي: ولا يسخر نساء، فيكون من باب عطف الجمل(٤).

قال الشوكاني: "ولما كان لفظ قوم مختصاً بالرجال؛ لأنهم القُوَّم على النساء أفرد النساء بالذكر فقال: ﴿وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاءٍ﴾ أي: ولا يسخر نساء من نساء

---

(١) العكبري، التبيان، مرجع سابق، ص ١١٧١.

(٢) الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، الجزء ٥، ص ٥٧٠.

(٣) أبو السعود، تفسير أبي السعود، مرجع سابق، الجزء ٨، ص ١٢٠.وانظر، الألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، الجزء ٢٦، ص ١٤٩.

(٤) ويجوز أن يكون (نساءٌ) معطوفاً على (قومٌ)، ويكون من باب عطف المفردات.
انظر، عبد اللطيف الخطيب وزميلاه، التفصيل في إعراب آيات التنزيل، مكتبة الخطيب، الكويت، الطبعة الأولى، ٢٠١٥، الجزء ٢٦، ص ٢٤٧.

﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ﴾ المسخور بهن ﴿خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّ﴾، يعني: خيراً من الساخرات منهنّ، وقيل : أفرد النساء بالذكر؛ لأن السخرية منهنّ أكثر"[١].

ثانياً: التعريف والتنكير:

التعريف والتنكير حالان يَعْرِضان للاسم، وقد دُرستْ في كتب البلاغة العربية في أبواب أحوال المسند والمسند إليه. فالسكاكي يحدد الغرض الذي يُلجئ المتكلم أو منشئ النص إلى تعريف المسند إليه، وهو "إفادة السامع فائدة يُعتدّ بمثلها"[٢]، ثم يذكر تنكير المسند إليه حين يقول: "وأما الحالة التي تقتضي تنكيره فهي: إذا كان المقام للأفراد شخصاً أو نوعاً، كقولك: جاءني رجل، أي: فرد من أشخاص الرجال، وقوله تعالى: (وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّة مِّن مَّاء) [النور ٤٥]، أي: نوع مختص بتلك الدابة، أو من ماء مخصوص، وهي النطفة، أو كان المقام غير صالح للتعريف، إما لأنك لا تعرف منه حقيقةً إلا ذلك القدر، وهو أنه رجل، أو تتجاهل وترى أنك لا تعرف منه إلا جنسه"[٣].

وسورة الحجرات اشتملت على كلمات جاءت معارف، بأنواع المعارف المختلفة، باستثناء أسماء الأعلام، وكلمات نكرات. وسوف نقف عند الكلمات التي

---

(١) محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، اعتنى به وراجع أصوله يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٧، ص ١٣٩٢.

وانظر أبو السعود، تفسير أبي السعود، مرجع سابق، الجزء ٨، ص ١٢١. والألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، الجزء ٢٦، ص ١٥٢ – ١٥٣.

(٢) السكاكي، مفتاح العلوم ، مرجع سابق، ص ١٧٨.

(٣) المرجع السابق، ص ١٩١ – ١٩٢.

وانظر، محمد محمد أبو موسى، خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٩٦، ص ٢١٢ – ٢١٣.

أشار المفسرون إلى نُكَتٍ أسلوبية وبيانية في تفسيرها، وأثر تلك الكلمات، وذلك التوجيه على البنية التركيبية للسورة.

- **مواضع التنكير:**

١- ﴿يأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ إِن جَاءَكُم فَاسِقُ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ **(الحجرات ٦)**

اشتملت هذه الآية على نكرتين، هما: (فَاسِقُ) و(نبأ)، قال الزمخشري: "وفي تنكير (الفاسق) و(النبأ) شياع في الفساق والأنباء، كأنه قال: أيُّ فاسق جاءكم بأي نبأ"(١).

ويُنبِّه الرازي إلى مجيئهما في سياق أسلوب الشرط فيقول: "النكرة في معرض الشرط تعمّ إذا كانت في جانب الثبوت، كما أنها تعمّ في الإخبار إذا كانت في جانب النفي . . . "(٢).

وكذلك يؤكِّد أبو حيان إفادة النكرة في الآية معنى التعميم: "و(فاسق) و(بنبأ) مطلقان، فيتناول اللفظ كل واحد على جهة البدل"(٣).

٢- ﴿لَا يَسۡخَرۡ قَوۡم مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآء مِّن نِّسَآءٍ﴾ **(الحجرات ١١)**

جاءت الألفاظ (قوم) في الموضعين و(نساء) في الموضعين نكرات إما للتعميم أو لإرادة نهي بعضهم عن السخرية من بعض(٤). قال الألوسي: "﴿يَٰٓأَيُّهَا

(١) الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، الجزء ٥، ص ٥٦٦.
(٢) الرازي، تفسير الرازي، مرجع سابق، الجزء ٢٨، ص ١١٩ – ١٢٠. وانظر، الألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، الجزء ٢٦، ص ١٤٥.
(٣) أبو حيان، البحر المحيط، مرجع سابق، الجزء ٨، ص ١٠٩.
(٤) انظر، أبو السعود، تفسير أبي السعود، مرجع سابق، الجزء ٨، ص ١٢١.
ومحمد بن الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، دون الطبعة، ١٩٨٤، الجزء ٢٦، ص ٢٤٧.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡم﴾، أي: منكم ﴿مِّن قَوۡمٍ﴾ آخرين منكم أيضاً، فالتنكير في الموضعين للتبعيض"[1].

ويُسهب الزمخشري في تبيين دور التنكير في بناء دلالة الآية، فهو يقول: "وتنكير (القوم) و(النساء) يحتمل معنيين: أن يراد: لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض، وأن تقصد إفادة الشياع، وأن تصير كل جماعة منهم مَنهيّة عن السخرية، وإنما لم يقل: رجل من رجل، ولا امرأة من امرأة على التوحيد، إعلاماً بإقدام غير واحد من رجالهم وغير واحدة من نسائهم على السخرية، واستفظاعاً للشأن الذي كانوا عليه، ولأنّ مشهد الساخر لا يكاد يخلو ممن يتلهى ويستضحك على قوله، ولا يأتي ما عليه من النهي والإنكار، فيكون شريك الساخر وتلوه في تحمل الوزر، وكذلك كل من يطرق سمعه فيستطيبه ويضحك به، فيؤدي ذلك– وإن أوجده واحد– إلى تكثر السخرة وانقلاب الواحد جماعة وقوماً"[2].

٣- ﴿لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِير مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾ (**الحجرات ٧**)

قال ابن عاشور: "والتعريف في (الأمر) تعريف الجنس شامل لجميع الأمور، ولذلك جيء معه بلفظ (كثير من) أي في أحداث كثيرة مما لكم رغبة في تحصيل شيء منها فيه مخالفة لما شرعه"[3].

٤- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ (**الحجرات ١٢**)

(١) الألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، الجزء ٢٦، ص ١٥٢.

(٢) الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، الجزء ٥، ص ٥٧٥.

(٣) محمد بن الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، الجزء ٢٦، ص ٢٣٥.

يرى الزمخشري أن التنكير في هذه الآية أفاد التبعيض، قال: "فإن قلت: بَيِّن الفصل بين (كثيراً)، حيث جاء نكرة وبينه لو جاء معرفة قلت: مجيئه نكرة يفيد معنى البعضية، وإنّ في الظنون ما يجب أن يجتنب من غير تبيين لذلك ولا تعيين؛ لئلا يجترئ أحد على ظنّ إلا بعد نظر وتأمّل، وتمييز بين حقه وباطله بأمارة بينة، مع استشعار للتقوى والحذر؛ ولو عرف لكان الأمر باجتناب الظنّ منوطاً بما يكثر منه دون ما يقل، ووجب أن يكون كل ظنّ متصفٍ بالكثرة مجتنَباً، وما اتصف منه بالقلة مرخصاً في تظننه. والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها: أنّ كل ما لم تُعرف له أمارةٌ صحيحة وسببٌ ظاهر كان حراماً واجب الاجتناب؛ وذلك إذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح، وأونست منه الأمانة في الظاهر، فظنّ الفساد والخيانة به محرّم، بخلاف من اشتهر بين الناس بتعاطي الريب والمجاهرة بالخبائث"(١).

أما الألوسي فيذهب إلى أن النكرة أفادت التعميم؛ إذ يقول: "وتنكير (كَثِيراً) ليُحتاطَ في كل ظن ويتأمل حتى يعلم أنه من أي القبيل، فإن من الظن ما يباح اتباعه كالظن في الأمور المعاشية، ومنه ما يجب كالظن حيث لا قاطع فيه من العمليات كالواجبات الثابتة بغير دليل قطعي وحسن الظن بالله عز وجل، ومنه ما يحرم كالظن في الإلهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع، وظن السوء بالمؤمنين"(٢).

- **مواضع التعريف:**

اشتملت سورة الحجرات– كما سبق أن أشرت– على أنواع المعارف باستثناء أسماء الأعلام، ففيها: الأسماء المعرَّفة بـ (أل)، والضمير، واسم الإشارة، والاسم الموصول، والاسم المضاف إلى معرفة. وسوف نكتفي بالوقوف عند آية واحدة،

(١) الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، الجزء ٥، ص ٥٨٠.

(٢) الألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، الجزء ٢٦، ص ١٥٦.

أشار المفسرون إلى أثر التعريف في هذه الآية في توجيه معناها. وهذه الآية هي قوله تعالى:

﴿فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ﴾ **(الحجرات ٩)**

قال الرازي: "إذا قال[١]:﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ﴾ فأية فائدة في قوله: ﴿وَأَقۡسِطُوٓاْۖ﴾؟ نقول: قوله: ﴿فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ ﴾ كان فيه تخصيص بحال دون حال فعمم الأمر بقوله: ﴿وَأَقۡسِطُوٓاْۖ﴾، أي في كل أمر مفض إلى أشرف درجة وأرفع منزلة وهي محبة الله"[٢].

وتقييد الإصلاح بالعدل لأنه مظنة الحيف لوقوعه بعد المقاتلة، وقد أكد ذلك بقوله تعالى (وأقسطوا)، أي: واعدلوا[٣].

ثالثاً: التقديم والتأخير:

يخضع نظام الجملة في اللغة العربية إلى نَسَق معيّن، سواءً الجملة الاسمية أم الجملة الفعلية؛ حيث إن الجملة تتكوّن من ركنين أساسين، هما: المسند والمسند إليه، وَفْقَ ترتيب مخصوص. إلا أن هذا الترتيب قابلٌ للتغيّر والتبدل، بحيث يمكن أن يتقدم أحد الركنين على الآخر، فيما يُعرَف بظاهرة (التقديم والتأخير).

---

(١) أي: إذا قال قائل.

(٢) الرازي، تفسير الرازي، مرجع سابق، الجزء ٢٨، ص ١٢٩.

(٣) انظر: البيضاوي، تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، حققه وعلّق عليه وخرج أحاديثه وضبط نصه محمد صبحي بن حسن حلاق ومحمود أحمد الأطرش، دار الرشيد – مؤسسة الإيمان، بيروت – دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠، الجزء ٢٦، ص ٣٠٧. وأبو السعود، تفسير أبي السعود، مرجع سابق، الجزء ٨، ص ١٢٠. والألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، الجزء ٢٦، ص ١٥٠.

وهذه الظاهرة تتيح لدارس الأسلوب التعرف على خصائص البنية التركيبية لنص ما، وتفتح له باباً من أبواب الدرس، "هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية. لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة. ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قُدِّم فيه شيء، وحُوِّل اللفظ عن مكان إلى مكان"(١).

وهذا التقديم يكون لغرض وغاية يقصد إليها المنشئ، وقد أشار سيبويه إلى الغرض الذي يدعو منشئ النص إلى اللجوء إلى التقديم، إذ يقول: "كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعاً يُهِمّانهم ويَعْنِيانهم"(٢).

ويُنبِّه عبد القاهر إلى ضرورة ألا يكتفي الدارس بتحديد مكان التقديم، ولا أن يكتفي بالقول إن التقديم جاء للعناية والأهمية، بل يجب على الدارس أن يُبيّن من أين جاءت هذه الأهمية. يقول عبد القاهر: "وقد وقع في ظنون الناس أنه يكفي أن يقال: إنه قدم للعناية، ولأن ذكره أهم، من غير أن يُذْكَر من أين كانت تلك العناية؟ وبم كان أهم؟ ولتخيلهم ذلك قد صغر أمر التقديم والتأخير في نفوسهم، وهونوا الخطب فيه. حتى إنك لترى أكثرهم يرى تتبُّعه، والنظرَ فيه ضرباً من التكلف. ولم تر ظناً أزرى على صاحبه من هذا وشبهه"(٣).

أما دارسو الأسلوب المعاصرون فقد احتفوا بظاهرة التقديم والتأخير؛ لأنها تمثل مظهراً من مظاهر العدول في التركيب اللغوي، تقف خلفها أغراض نفسية

(١) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص ١٠٦.

(٢) سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨، الجزء ١، ص ٣٤.

(٣) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص ١٠٨.

ودلالية، وتؤدي وظيفة جمالية لكونها ملمحاً أسلوبياً خاصاً[١]. "وعلى هذا فتقديم جزء من الكلام أو تأخيره لا يرد اعتباطاً في نظم الكلام وتأليفه، وإنما يكون عملاً مقصوداً يقتضيه غرض بلاغي أو داعٍ من دواعيها"[٢].

ومن أمثلة التقديم والتأخير في سورة الحجرات:

١- ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ﴾ **(الحجرات ٧)**

في الآية الكريمة تقدَّم المتعلق بخبر (إن)، وهو الجارّ والمجرور (فيكم) على اسمها وهو قوله تعالى: (رسول). وأشار المفسرون إلى معنيين يستفادان من هذا التقديم:

الأول: التوبيخ، قال الزمخشري: "فإن قلت: ما فائدة تقديم خبر (إنّ) على اسمها؟ قلت: القصد إلى توبيخ بعض المؤمنين على ما استهجن الله منهم من استتباع رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم لآرائهم، فوجب تقديمه لانصباب الغرض إليه"[٣]. ونص على ذلك أبو حيان[٤]، والألوسي[٥].

الثاني: ذكره ابن عاشور حين قال: "وتقديم خبر (أنَّ) على اسمها في قوله: (أن فيكم رسولَ الله) للاهتمام بهذا الكون فيهم وتنبيهاً على أن واجبهم

---

(١) انظر: راشد بن حمد بن هاشل الحسيني، البنى الأسلوبية في النص الشعري دراسة تطبيقية، دار الحكمة، لندن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤، ص ٢٣٣.

(٢) عبد العزيز عتيق، علم المعاني البيان البديع، دار النهضة العربية، بيروت، دون طبعة، دون تاريخ، ص ١٣٣.

(٣) الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، الجزء ٥، ص ٥٦٨.
وانظر: أبو حيان، البحر المحيط، مرجع سابق، الجزء ٨، ص ١١٠. والألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، الجزء ٢٦، ص ١٤٨.

(٤) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، مرجع سابق، الجزء ٨، ص ١١٠.

(٥) انظر: الألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، الجزء ٢٦، ص ١٤٨.

الاغتباط به والإخلاص له؛ لأن كونه فيهم شرف عظيم لجماعتهم وصلاح لهم"[١].

٢-﴿حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾(**الحجرات ٧**)

وفي هذه الآية تقدَّم الجارّ والمجرور (إليكم) على فعله (حَبَّبَ) للتخصيص[٢]، فالخطاب في (إليكم) لبعض المؤمنين، من غير المخاطَبين في قوله تعالى: (لو يطيعكم) السابق في الآية ذاتها. قال الزمخشري[٣]: إلى بعضكم، فاكتفى بالتغاير في الصفة، واختصر، ولم يقل: حَبَّبَ إلى بعضكم الإيمان[٤].

٣-﴿وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ﴾(**الحجرات ٧**)

ويقال فيها ما قيل في سابقتها، من أن الغرض من التقديم هنا هو التخصيص.

رابعاً: القَصْر:

للقصر في اللغة العربية- كما قرره البلاغيون- أربع طرائق مشهورة، هي[٥]: العطف، والنفي والاستثناء، والقصر بـ (إنما)، والتقديم.

ولم تشتمل سورة الحجرات من هذه الصور الأربع للقصر إلا على صورة واحدة، هي القصر بـ (إنما). وذلك في موضعين من السورة، هما:

---

(١) محمد بن الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، الجزء ٢٦، ص ٢٣٥.

(٢) انظر، فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، دار عمار، عَمّان، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٦، ص ٥١.

(٣) الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، الجزء ٥، ص ٥٦٨.

(٤) الرازي، تفسير الرازي، مرجع سابق، الجزء ٢٨، ص ١٢٢.

(٥) انظر، الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق وتنقيح محمد عبد المنعم الخفاجي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣، الجزء ٣، ص ٢١ – ٢٩.

١- ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ **(الحجرات ١٠)**

يُلجأ لـ (إنما) في الخبر الذي يُقرّه المتلقي، ولا يَرُدّه، قال عبد القاهر: "اعلم أن موضوع (إنما) على أن يجيء لخبر لا يجهله المخاطَب، ولا يدفع صحتَه، أو لما يُنزَّل هذه المنزلة. تفسير ذلك أنك تقول للرجل: (إنما هو أخوك) و(إنما هو صاحبك القديم)، لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفع صحته، ولكن لمن يعلمه ويُقرُّ به، إلا أنك تريد أن تنبهه للذي يجب عليه من حق الأخ، وحرمة الصاحب"(١).

وفي هذه الآية حصرٌ للأُخوّة على المؤمنين، قال الرازي: "(إِنَّمَا) للحصر أي لا أخوة إلا بين المؤمنين، وأما بين المؤمن والكافر فلا؛ لأن الإسلام هو الجامع؛ ولهذا إذا مات المسلم وله أخ كافر يكون ماله للمسلمين ولا يكون لأخيه الكافر، وأما الكافر. . ."(٢).

وقال ابن عاشور: "وجيء بصيغة القصر المفيدة لحصر حالهم في حال الإخوة مبالغة في تقرير هذا الحكم بين المسلمين فهو قصر ادعائي أو هو قصر إضافي للرد على أصحاب الحالة المفروضة الذين يبغون على غيرهم من المؤمنين، وأخبر عنهم بأنهم إخوة مجازاً على وجه التشبيه البليغ زيادة لتقرير معنى الأخوة بينهم حتى لا يحق أن يقرن بحرف التشبيه المشعر بضعف صفتهم عن حقيقة الأُخُوَّة"(٣).

٢- ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾**(الحجرات ١٥)**

(١) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مرجع سابق، ص ٣٣٠.

(٢) الرازي، تفسير الرازي، مرجع سابق، الجزء ٢٨، ص ١٣٠.

(٣) محمد بن الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، الجزء ٢٦، ص ٢٤٣.

قال ابن عطية: "(إنما) في هذه الآية حاصرةٌ تُعطي ذلك المعنى"(١). وابن عطية يقصد بقوله: (ذلك المعنى)، معنى (الإيمان) الذي شرحه في الآية السابقة، عند تفسيره قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾(٢).**(الحجرات ١٤)**

وقال ابن عاشور: "و(إنما) للحصر، و(إنّ) التي هي جُزء منها مفيدة أيضاً للتعليل وقائمة مقام فاء التفريع، أي إنما لم تكونوا مؤمنين لأن الإيمان ينافيه الارتياب.والقصر إضافي، أي المؤمنون الذين هذه صفاتهم غير هؤلاء الأعراب. فأفاد أن هؤلاء الأعراب انتفى عنهم الإيمان لأنهم انتفى عنهم مجموع هذه الصفات.

وإذ قد كان القصر إضافياً لم يكن الغرض منه إلاّ إثبات الوصف لغير المقصور لإخراج المتحدث عنهم عن أن يكونوا مؤمنين، وليس بمقتضٍ أن حقيقة الإيمان لا تتقوم إلا بمجموع تلك الصفات لأن عد الجهاد في سبيل الله مع صفتي الإيمان وانتفاء الريب فيه يمنع من ذلك لأن الذي يقعُد عن الجهاد لا ينتفي عنه وصف الإيمان إذ لا يكفَّر المسلم بارتكاب الكبائر عند أهل الحق. وما عداه خطأ واضح، وإلا لانتقضت جامعة الإسلام بأسرها إلا فئة قليلة في أوقات غير طويلة"(٣).

---

(١) ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق وتعليق الرحالة الفاروق وآخرين، مطبوعات وزراة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧، الجزء ٢٦، ص ٢٧.

(٢) انظر، المرجع السابق، الجزء ٢٦، ص ٢٥ – ٢٦.

(٣) محمد بن الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، الجزء ٢٦، ص ٢٦٧.

وفي اللغة العربية طرائق أخرى للقصر، عدا تلك الأربع ، منها: فصل المبتدأ بضمير الفصل[١]. وقد جاء القصر بهذه الطريقة في سورة الحجرات في ثلاثة مواضع، هي:

١- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧﴾**(الحجرات ٧)**

قال ابن عاشور: "وأفاد ضميرُ الفصل القصرَ وهو قصر إفراد، إشارةً إلى أن بينهم فريقاً ليسوا براشدين وهم الذين تلبسوا بالفسق حين تلبسهم به فإن أقلعوا عنه التحقوا بالراشدين"[٢].

٢- ﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾**(الحجرات ١١)**

قال ابن عاشور: "وتوسيط اسم الإشارة لزيادة تمييزهم تفظيعاً لحالهم وللتنبيه، بل إنهم استحقوا قصر الظلم عليهم لأجل ما ذكر من الأوصاف قبل اسم الإشارة"[٣].

٣- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥﴾**(الحجرات ١٥)**

وهذه الآية تشبه الآيتين السابقتين؛ حيث وقع ضمير الفصل بين المبتدأ والخبر دالاً على القصر. قال ابن عاشور: "وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ قَصْر، وهو قصر إضافي أيضاً، أي: هم الصادقون لا أنتم في قولكم: (آمنا)" [٤].

---

(١) انظر، ابن يعقوب المغربي، مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح (ضمن شروح التلخيص)، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، دون طبعة، دون تاريخ، الجزء ٢، ص ١٨٦.

(٢) محمد بن الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، الجزء ٢٦، ص ٢٣٧.

(٣) المرجع السابق، الجزء ٢٨، ص ٢٥٠.

(٤) المرجع السابق، الجزء ٢٨، ص٢٦٨.

خامساً: الالتفات:

تُعَدّ ظاهرة الالتفات من الظواهر الأسلوبية التي تسهم في بناء النص وتشكيل دلالته. يقول حسن طبل: "يُعد الالتفات- ومعه كثير من الألوان البلاغية- من الظواهر التعبيرية التي يُعنَى علم الأسلوب برصدها وتحليلها في لغة الأدب"(١).

ويكتسب أسلوب الالتفات أهميته وقيمته من كونه يكسر حاجز التوقع عند المتلقي، فيُحْدِث حالة من التيقظ الذهني والنشاط العقلي لديه، كما أنه يُبْعِد عن المتلقي ما قد يصيبه من السآمة والملل بسبب اتباع نمط واحد من أنماط التعبير(٢).

ومن أمثلة الالتفات في سورة الحجرات:

أ- **الالتفات في الأفعال:**

﴿لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾**(الحجرات ٧)**

(لو) تفيد تقييد الشرطية بالزمن الماضي(٣)، فكان حقُّ الفعل معها أن يكون ماضياً، إلا أن الآية الكريمة عدلت عن الماضي إلى المضارع. ويُفسّر الزمخشري هذا الالتفات بالسؤال والجواب الآتيين: "فإن قلتَ: فلم قيل (يُطِيعُكُم) دون:

(١) حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة، دون طبعة، ١٩٩٨، ص ٣٣.
وقوله: (لغة الأدب) حصْر لا وجه له؛ إذ إن علم الأسلوب يتناول جميع أنواع النصوص.

(٢) انظر، فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، مرجع سابق، ص ٢٢٩.

(٣) انظر، ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق وشرح عبد اللطيف محمد الخطيب، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠، الجزء ٣، ص ٣٦٧ .
وابن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢، ص ٢٨٥.

أطاعكم؟ قلتُ: للدلالة على أنه كان في إرادتهم استمرار عمله على ما يستصوبونه. وأنه كلما عنّ لهم رأْيٌ في أمر كان معمولاً عليه"[١].

ويشرح ابن عاشور الالتفات في الآية بقوله: "وصيغة المضارع في قوله : (لو يطيعكم) مستعملة في الماضي لأن حرف (لو) يفيد تعليق الشرط في الماضي، وإنما عدل إلى صيغة المضارع لأن المضارع صالح للدلالة على الاستمرار، أي: لو أطاعكم في قضية معيّنة، ولو أطاعكم كلما رغبتم منه أو أشرتم عليه لعنتُّم؛ لأن بعض ما يطلبونه مضر بالغير أو بالراغب نفسه؛ فإنه قد يحب عاجل النفع العائدَ عليه بالضر"[٢].

ب- الالتفات في الضمائر:

- ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧﴾**(الحجرات ٧)**

وفي هذه الآية التفات من ضمير المخاطَب في قوله تعالى: (إليكم) في الموضعين، و(قلوبكم) إلى ضمير الغائب في قوله تعالى: (هم). قال ابن عطية: "وقوله تعالى: (أولئك هم الراشدون) رجوع من الخطاب إلى ذكر الغيبة، كأنه تعالى قال: ومن فعل هذا معه، وقَبِلَه وشكَر عليه فأولئك هم الراشدون"[٣].

---

(١) الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، الجزء ٥، ص ٥٦٨.
وانظر،أبو حيان، البحر المحيط، مرجع سابق، الجزء ٨، ص ١١٠.

(٢) محمد بن الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، الجزء ٢٦، ص ٢٣٥.
وانظر: أبو السعود، تفسير أبي السعود، مرجع سابق، الجزء ٨، ص ١١٩.والألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، الجزء ٢٦، ص ١٤٨.

(٣) ابن عطية، المحرر الوجيز، مرجع سابق، الجزء ٢٦، ص ١٢.
وانظر: السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، مرجع سابق، الجزء١٠، ص ٨. وأبو حيان، البحر المحيط، مرجع سابق، الجزء ٨، ص ١١٠. وأبو السعود، تفسير أبي السعود، مرجع سابق، الجزء ٨، ص١٢٠. والألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، الجزء ٢٦، ص١٤٨.

ت- **من المثنى إلى الجمع:**

- ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ﴾**(الحجرات ٩)**

يُعبِّر الزمخشري عن الالتفات الواقع في هذه الآية عبر الحوار الآتي: "فإن قلتَ: ما وجه قوله : (اقتتلوا) والقياس (اقتتلتا)، كما قرأ ابن أبي عبلة [أو](اقتتلا) كما قرأ عبيد بن عمير على تأويل الرهطين أو النفرين؟ قلتُ: هو مما حُمل على المعنى دون اللفظ؛ لأنّ الطائفتين في معنى القوم والناس"(١).

ويوضح الرازي هذا الحمل على المعنى فيقول:"عند الاقتتال تكون الفتنة قائمة، وكل أحد برأسه يكون فاعلاً فعلاً، فقال: (اقتتلوا) وعند العود إلى الصلح تتفق كلمة كل طائفة، وإلا لم يكن يتحقق الصلح، فقال: (بَيْنَهُمَا) لكون الطائفتين حينئذ كنفسين"(٢).

ث- **من المفرد إلى الجمع:**

- ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ ﴾**(الحجرات ١١)**

في الآية التفات من صيغة المفرد في قوله تعالى: (لَّم يَتُب) إلى صيغة الجمع في قوله تعالى: (فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ). قال الألوسي: "والإفراد أولاً والجمع ثانياً مراعاة للفظ ومراعاة للمعنى"(٣).

ج- **من الجمع إلى المثنى:**

- ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَة فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ﴾**(الحجرات ١٠)**

---

(١) الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، الجزء ٥، ص ٥٧١.
(٢) الرازي، تفسير الرازي، مرجع سابق، الجزء ٢٨، ص ١٢٧ – ١٢٨.
وانظر: أبو حيان، البحر المحيط، مرجع سابق، الجزء ٨، ص ١١١. وأبو السعود، تفسير أبي السعود، مرجع سابق، الجزء ٨، ص١٢٠. والألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، الجزء ٢٦، ص ١٤٩ – ١٥٠.
(٣) الألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، الجزء ٢٦، ص١٥٦.

والالتفات– هنا– من صيغة الجمع في قوله الله تعالى: ﴿ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ إلى صيغة المثنى في قوله تعالى: ﴿أَخَوَيۡكُمۡ﴾ "رعايةً لحال أقلّ عدد يقع فيه القتال والتشاجر" كما يقول ابن عطية(١).

ويُقدِّم الزمخشري تعليله لهذا الالتفات في الآية بقوله: "فإن قلتَ: فلمَ خُصّ الاثنان بالذكر دون الجمع؟ قلت: لأن أقل من يقع بينهم الشقاق اثنان؛ فإذا لزمت المصالحة بين الأقل كانت بين الأكثر ألزم؛ لأنّ الفساد في شقاق الجمع أكثر منه في شقاق الاثنين، وقيل: المراد بالأخوين الأوس والخزرج "(٢).

وقُرئت (بين إخوتكم) و(بين إخوانكم) (٣).

* *

(١) ابن عطية، المحرر الوجيز، مرجع سابق، الجزء ٢٦، ص١٤.
ويضيف ابن عطية: "والجماعة متى قصدوا الإصلاحَ فإنما هو بين رجلين رجلين".

(٢) الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، الجزء ٥، ص ٥٧٣ – ٥٧٤.
وانظر: أبو حيان، البحر المحيط، مرجع سابق، الجزء ٨، ص ١١١. وأبو السعود، تفسير أبي السعود، مرجع سابق، الجزء ٨، ص١٢٠ – ١٢١. والألوسي، روح المعاني، مرجع سابق، الجزء ٢٦، ص١٥١ – ١٥٢ محمد بن الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، مرجع سابق، الجزء ٢٦، ص ٢٤٥

(٣) انظر: تخريج القراءتين في عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، دار سعد الدين، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢، الجزء ٩، ص ٨٣ – ٨٤.

الخاتمة:

تناولت هذه الدراسة سورة من سور القرآن الكريم- وهي سورة الحجرات- بالبحث وَفْقَ معطيات الدراسة الأسلوبية. وقد توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

- تضافرت الظواهر التركيبية التي تناولتها الدراسة بالبحث في بناء دلالة سورة الحجرات، وتشكيل وحدتها الدلالية، مع تفاوت بين تلك الظواهر في الإسهام في ذلك البناء، وذلك التشكيل.
- أكثر الظواهر التركيبية وروداً في سورة الحجرات هي ظاهرة (الحذف)، وقد أوضحت الدراسة في كل موضع من مواضع الحذف كيف أسهم الحذف في خدمة معنى السورة العام، وتشكيل دلالتها.
- تُعَدّ ظاهرة (التقديم والتأخير) أقلَّ الظواهر التركيبية في السورة؛ وذلك راجع- في نظر الدراسة- إلى معنى السورة العامّ، الذي يقصد نحو التوجيه والإرشاد وتقويم السلوك، وتلك أمور يناسبها مجيءُ اللغة على صورتها الأُولى، أو ما يقرب من صورتها الأولى.

المراجع:

-أبو البقاء العكبري، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، دون طبعة، ١٩٧٦.

-البيضاوي، تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، حققه وعلّق عليه وخرج أحاديثه وضبط نصه محمد صبحي بن حسن حلاق ومحمود أحمد الأطرش، دار الرشيد – مؤسسة الإيمان، بيروت – دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠.

-تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، دون طبعة، ١٩٩٤.

-جار الله الزمخشري، تفسير الكشاف، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٨.

-ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٩٩.

-حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة، دون طبعة، ١٩٩٨.

-أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق جماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣.

-الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق وتنقيح محمد عبد المنعم الخفاجي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣.

-راشد بن حمد بن هاشل الحسيني، البنى الأسلوبية في النص الشعري دراسة تطبيقية، دار الحكمة، لندن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤.

-أبو السعود محمد بن محمد العمادي، تفسير أبي السعود، نسخة مصورة دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون طبعة، دون تاريخ.

-السكاكي، مفتاح العلوم، ضبطه كتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٧.

-السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٤.

-سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨.

-عبد العزيز عتيق، علم المعاني البيان البديع، دار النهضة العربية، بيروت، دون طبعة، دون تاريخ.

-عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، دون طبعة ، دون تاريخ.

-عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٤.

-عبد اللطيف الخطيب وزميلاه، التفصيل في إعراب آيات التنزيل، مكتبة الخطيب، الكويت، الطبعة الأولى، ٢٠١٥.

-عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، دار سعد الدين، دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢.

-ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق وتعليق الرحالة الفاروق وآخرين، مطبوعات وزراة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧.

-فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، دار عمار، عَمّان، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٦.

-فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، الدار الفنية، دون مكان نشر، دون طبعة، ١٩٩٠.

-فخر الدين الرازي، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، نسخة مصورة دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨١.

-ابن قاسم المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢.

-محمد بن الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، دون الطبعة، ١٩٨٤.

-محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، اعتنى به وراجع أصوله يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٧.

-محمد محمد أبو موسى، خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٩٦.

-محمود الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المطبعة المنيرية، القاهرة، دون طبعة، دون تاريخ.

-محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء، القاهرة، دون طبعة، ١٩٩٧.

-ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق وشرح عبد اللطيف محمد الخطيب، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠.

-ابن يعقوب المغربي، مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح (ضمن شروح التلخيص)، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، دون طبعة، دون تاريخ.

* * *